بلى موحدث فقلت لعله الحافظ عبد الغني فقال نعم هذا هو فقلت ايها الملك العلما احدهم يطلب الاخرة
والاخر يطلب الدنيا وانت ها هنا باب الدنيا فهذا الرجل جا اليك لو ارسل اليك شفاعة او رقعة يطلب
منك شيا فقال لا فقلت ايها الملك والله هولا القوم يحسدونه فهل في هذه البلاد ارفع منك قال لا فقلت
هذا الرجل ارفع العلما كما كنت ارفع الناس ها هنا فقال جزاك الله خيرا كما عرفتني هذا ثم اني ارسلت رقعة الى
الملك الكامل اوصيه به فارسل الي يحيى فمضيت اليه واذا عنده جماعة منهم شيخ الشيوخ يعني ابن حمويه وعز الدين
بن الزنجاري فقال لي الملك نحن في امر الحافظ فقلت ايها الملك القوم يحسدونه ثم بيننا هذا الشيخ اعني شيخ
الشيوخ وقلت بحق كذا وكذا هل سمعت من الحافظ كلاما يخرج عن الاسلام فقال لا والله ما سمعت عنه الا كل
جميل وما رايته قط ثم تكلم ابن الزنجاري فمدح الحافظ مدحا كثيرا ومدح تلامذته وقال انا اعرفهم فما رايت مثلهم
فقلت انا اقول شيا اخر فقال ما هو فقلت لا يصل اليه شي يكرهه حتى يقتل من الاكراد ثلاثة الاف قال فقال
لا يوذى الحافظ فقلت اكتب بخطك بذلك فكتب وسمعت بعض اصحابنا يقول ان الحافظ امر ان يكتب اعتقاده
فكتب اقول كذا لقول الله كذا واقول كذا لقول رسول الله كذا حتى فرغ من المسايل التي يخالفون فيها فلما وقف
عليه الملك الكامل قال ايش اقول في هذا يقول بقول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم قال
فخلى عنه ثم ذكر الضياء قاصا من فراسته وهي ملتحقة بنوع من كراماته فيها ما قال سمعت نصر بن رضوان بن
ثروان العدوي يقول لما كان الحافظ يجلس في الجامع بعد العصر كان المنبر الذي يجلس عليه فيه قصر وكان
الناس يشرفون اليه فخطر في نفسي لو كان يرفع قليلا وكان الحافظ على المنبر يقرا في جزء فترك القراة وقال بعض
الاخوان يشتهي ان يعلا هذا المنبر قليلا فلما كان الغد زاد بعض الجماعة في رجلي المنبر قليلا قال وسمعت
الحافظ ابا موسى ابن الحافظ قال كنت عند والدي وهو يذكر فضايل سفيان الثوري فقلت في نفسي ان
والدي مثله فالتفت الي وقال ابن نحن من اوليك وسمعت ابا موسى ايضا يحدث عن رجل بدمياط قال كنت
يوما عند الحافظ فقلت في نفسي كنت اشتهي لو ان الحافظ يعطيني الثوب الذي يلي جسده حتى اكفن فيه فلما اراد
القيام قال لي لا تبرح فلما تفرق الجماعة خلع ثوبه الذي يلي جسده واعطانيه قال فبقي الثوب عندنا وكل
من مرض او وجعه راسه تركوه عليه فيبرا باذن الله تعالى وسمعت ابا الرضا محمد بن عبد الرحمن بن ابرهيم
المقدسي قال وقع لي ان اسال الحافظ عن شي من ذكر بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمضيت اليه فوجدت
عنده جماعة فاستحييت ان اساله وقعدت فذكر ما كنت اريد ان اساله عنه وبينه وسمعت ابا علي فارس
ابن عثمان بن عبد الله الدمشقي يذكر عن رجل اخر قال خرجنا جماعة الى الجبل فقعدنا على النهر فقال بعضنا
اشتهينا لو ان الحافظ جا ومعه جزء يقرا لنا فيه اخبارا فقال اخر ويجي معه بحلاوة فلم نلبث الا والحافظ
قد جا فقال له بعضنا لو كنت جيت معك بشي تقرا لنا فيه فاخرج جزءا من كمه وقال قد جيت بالجزء والحلاوة
وسمعت الحافظ ابا موسى يقول قالت لي والدتي قدمنا يوما لوالدك طبيخ من طبيخ فلان لرجل سماه لي وكان
الحافظ لا يشتهي ان ياكل من طعامه فاخذ لقمة ورفعها الى فيه ثم نظر اليه وقال هذا من طبيخ فلان ارفعوه
ولم ياكل منه شيا قال الضيا فسالت خالتي رابعة بنت احمد بن محمد بن قدامة امراة الحافظ بعد ذلك عن
هذه الحكاية فحدثتني بها قال وسمعت ابا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي قال كنت يوما عند
الحافظ بالقاهرة فدخل رجل فسلم عليه ثم اخرج دينارين فدفعهما اليه فدفعهما الحافظ الي وقال ما كان
قلبي يطيب بهما فسالت الرجل ايش شغلك فقال انا اكتب على النطرون والمطرون يحصر ما يحمد مثل الملح
وعليه ضمان وسمعته يحدث عن رجل واثنى عليه خيرا قال كنت مرة قد تخرقت ثيابي فجيت يوما بدرهم الى الحافظ
فقلت يا سيدي لك حاجة احملها الى الجبل قال نعم خذ معك هذا الثوب فحملته الى الجبل فلما صعدت جيت
بالثوب اليه فقال اقعد فصل لك ثوبين وسراويل ففصلت ثوبين وسراويل وفضلت فضلة فاخذتها

سمعت

سمعت الحافظ ابا موسى قال مرض والدي رحمه الله في ربيع الاول سنة ستمايه مرضا شديدا منعه من الكلام
والقيام واشتد به مدة ستة عشر يوما وكنت كثيرا ما اساله ما تشتهي فيقول اشتهي الجنة اشتهي رحمة
الله تعالى لا يزيد على ذلك فلما كان يوم الاثنين جيت اليه وكان عادتي ابعث من ياتي كل يوم بكرة بماء حار
من الحمام يغسل به اطرافه فلما جينا بالما على العادة مد يده فعرفت انه يريد الوضو فوضاته وقت صلاة الفجر
ثم قال يا عبد الله قم فصل بنا وخفف فقمت وصليت بالجماعة وصلى معنا جالسا فلما انصرف الناس جيت فجلست
عند راسه وقد استقبل القبلة فقال لي اقرا عند راسي سورة يس فقراتها فجعل يدعو وانا اومن فقلت ها هنا
دوا قد عملناه تشربه فقال لي يا بني ما بقي الا الموت فقلت ما تشتهي شيا قال اشتهي انظر الى وجه الله تعالى
قلت ما انت علي راض قال بلى والله انا عنك راض وعن اخوك وقد اجزت لك ولاخوتك ولابن اخيك ابرهيم قال
وسمعت ابا موسى يقول اوصاني ابي عند موته لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه يعني الحديث فقلت ما
توصيني قال ما لي على احد شي ولا لاحد علي شي قلت توصيني بوصية قال يا بني اوصيك بتقوى الله والمحافظة
على طاعته فجا جماعة يعودونه فسلموا عليه فرد عليهم السلام وجعلوا يتحدثون ففتح عينيه وقال ما
هذا الحديث اذكروا الله قولوا لا اله الا الله فقالوها ثم قاموا فجعل يذكر الله ويحرك شفتيه بذكره ويشير بعينيه
فدخل رجل فسلم عليه وقال له ما تعرفني يا سيدي فقال بلى فقمت لاناوله كتابا من جانب المسجد فرجعت وقد
خرجت روحه وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة ستمايه وبقي ليلة الثلثا في
المسجد واجتمع الغد خلق كثير من الايمة والامرا ما لا يحصيهم الا الله عز وجل ودفناه يوم الثلثا بالقرافة
مقابل قبر الشيخ ابي عمرو بن مرزوق في مكان ذكر لي خادمه عبد المنعم انه كان يزور ذلك المكان ويبكي فيه الى
ان يبل الحصى ويقول قلبي يرتاح الى هذا المكان رحمه الله ورضي عنه والحقه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلت
ووقع لابن الحنبلي في وفاته وهم فقال سنة خمس وتسعين وخمسماية ورثاه غير واحد منهم الامام ابو عبد الله
محمد بن سعد المقدسي الاديب بقصيدة طويلة اولها

هذا الذي كنت يوم البين احتسب … فليقض دمعك عني بعض ما يجب
يا سايرين الى مصر بربكم … رفقا علي فان الاجر مكتسب
قولوا لساكنها حييت من سكن … يا منية النفس ماذا الصد والغضب
بالشام قوم وفي بغداد قد الفوا … لا البعد اخلق بلواهم ولا الحقب
قد كنت بالكتب احيانا تعللهم … فاليوم لا الرسل تاتي ولا الكتب
انقضت عهدهم ام انت في جدث … تبكي ويبكي عليك الروح والسحب
بل انت في جنة تجني فواكهها … لا الخوف يلقى ولا غول ولا نصب
يا خير من قال بعد الصحب حدثنا … ومن اليه التقى والدين ينتسب
لولاك ما عمود الدين وانهدمت … قواعد الحق واغتال الهدى عطب
فاليوم بعدك بحر الغي مضطرم … بادي الثوار وركن الرشد مضطرب
فليبكينك رسول الله ما هتفت … ورق الحمام وتبكي العجم والعرب
لم يعرف بكما حال تعرفكما … في السهر والنوم هذا الفخر والحسب
احييت سنته من بعد ما دفنت … وشدتها وقد انهدت لها رتب
وصنتها عن اباطيل الرواة لها … حتى استنارت فلا شك ولا ريب
ما زلت عنها اهلا وتمنعها … من كان يلهيه عنها اللهو واللعب
قوم باسماعهم عن سمعها صمم … وفي قلوبهم من حفظها نصب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)